

جسور الدماء



قررت فجأة التخلي عن لعبتها المفضلة، سئمت استجداء الليل واقتسام اللوعة مع الشمس عند الغروب،
نفضت عن ملامحها غبار دموع ملتها، كشفت غطاء الذات ومنحت لشفتيها الحق في ابتسامة.
احتضنت مرآتها، جدلت شعرها، ارتدت بياض القلب وحمرة الخجل وكلل تاج الأسود رأسها العنيد.
اليوم وعدّها بلقاء ورغم تاريخه الطويل في نقض مواعيده وثقت كعادتها به، نزعته عن جيدها القلائد،
لفظ معصماها الأساور وتخلت ساقها عن خلايل الذهب.
أمل من خلف الأسوار وقفت تتأمل موانع عديدة لطالما قهرت إرادتها، حاولت مغافلة الحراس والهروب إلى
حيث موعد الحب فخيبت آمانياتها نظرات التجهم، انكسرت مهاراتها التفاوضية على صخرة الرفض، ارتمت
بفراشها تبكي زينتها وثيابها وعطرلم يجد من يمنحه اطراء يستحقه.
توسدت دموعاً تخيلت أن اليوم موعد وفاتها، تناثر الليل من حولها فاستترت به، نفذت إلى الخارج
محطمة كل القواعد والممنوعات ابتسمت حين لفحت شعرها نسمة تحمل معنى حرية مفقودة.
هناك ..حيث الحب لمحته أخيراً ممسكاً بفنجان من الشاي وباليد الأخرى جريدة وسيجارة شبقها قبل
قليل وأودعها قلب المطفأة.

تناست كل مواعيد الحب التي كللتها الخيبة، وسيماً بدا يقطر حباً، ملامحة الحادة ترسم فوقها

ابتسامه ناعمة .

اتسعت ابتسامته حين لمحها وقال:— أخيراً جئت؟

قالت بخفر:— كنت دوماً آتي وأنت من تغيب..

رد:— لقد كنت دوماً هنا لكن قلبك لم يكن يراني..

قالت:— إن كان قلبي هو السبب سأقتله إكراماً لرؤيتك.. قال:— إن قلبك هو ما علمني أبجدية حبك فكيف تتخلين عنه حين الحب؟

ابتسمت حين لمحت بعينه نظرة اهتمام وهي المهملة دوماً تقاسي جذب مشاعر سجانها وتبذل قلوب عاشت من أجلها، سهمت مخيلتها بيده القابضة على فنجان بلامح سمراء عنيدة تذوب رقة وترتقي سماء الشغف وتذبح الشوق على وضم الكبرياء.. هجرت الشمس لوحاتها المضيئة فتحولت إلى عالم من ظلام، قالت بقهر:— يجب أن أذهب..

قال:— سنسهر معا أنتِ الليلة لي.. ردت:— لا أستطيع..

قال:— لقد علمني غرامك ألا مستحيل.

انسابت النسمات رغم الليل تداعب شعرها النائر و تراقصت من حولها موسيقى طنت أنها الجنة، توج شعرها الأسود بتاج الياسمين فبدت ملكة تفتش عرش القلوب، تمايلت مع الموسيقى رغم الخوف وتناسلت لبرهة أنها أسيرة. كان يعلمها أهمية التسكع في طرقات الحب حين فرقتهما الجموع الهادرة، بحث عيناها عنه فلم تجده، ذاب كقطعة سكر صهرتها حرارة الغضب، تاهت بين الخوف والأمل وعلمها غيابه عن ناظرها كيف يكون الفرع حين سقطت بين الأقدام..

امتدت أيدي كثيرة لنجدتها ولا نجدة، احتضنتها عصا غليظة أهداها إليها العسكر فغلبت حمرة الخجل لون الدم وطغى على بياض الثوب طعم الأسود، علمتها الأقدام كيف يكون الضياع وعلمها الأسر القدرة على التحمل، كتمت صرخات خرجت من سواها وأخذت تبحث عن حبيب ما أن يفي حتى يرغمه القدر على الغدر. من بعيد لمحته يعالج الضياع، يبحث عن حب حياته، حاولت النفاذ إليه متناسية كل قوانين الدلال فلم توفق، حالت بينهما أجساد حرما الرصاص حق الحياة ومنحها الإباء شرف الموت تحت قدميها.

على الأجساد سار يقطع مسافات الخوف إليها باكياً ، صرخت:— احذر تحت قدميك يرقد الأمل.. لا تأتي إلي على جسر من دماء.. أرجوك..

رفعها لتتخذ من كتفه عرشاً وقال:— هل سبق أن عبر الفجر إلى أسيرة على جسر من ماء؟